الإجابة النموذجية.....

في المدرسة يعلمونك الدرس ثم يختبرونك، اما الحياة فتختبرك ثم تعلمك الدرس

تعلمت منذ صغري أنه عندما تسأل المعلمة سؤالاً يجب أن أجيب عليها إجابةً كما يجب أو بمعني أخر إجابةً نموذجية على الرغم أنني لم أكن أعرف معنى كلمة "نموذجية " ولكن قيل لي أنها الإجابة المطبوعة في الكتاب ، لا نقص فيها لحرف أو زياده .، ويجب أن أحفظها عن ظهر قلب . وهكذا أكون لدى كل الإجابات النموذجيه لكل امتحان أو سؤال ، حينئذ أحصل حتماً على الدرجات النهائية وأنال الحظوة والاستحسان لدى الكل .

كنت أحفظ كل الإجابات بلا زيادة أو نقصان حتى كانت تطاردني الإجابات أثناء النوم وأقولها عن غير دراية ، وعندما كبرت وتهتُ في بحر تجارب هذا العالم ، وجدت أسئلة كثيرة في حياتي، تحتل مكاناً بعقلي، تبحث عن نموذج إجابه لارتاح قليلاً من همي وحيرتي ؛ وجدت نفسي أمام امتحانِ عسرِ ،لا أقوى فيه على الإجابة أو حتى التفكير ، تحدثت إلى من حولي وسألتهم ماهي الإجابه ؟ لماذا ؟ متى ؟ كيف ؟ أين ؟ لم ينطق أحد .... سكت الجميع .... لا أعلم سبب سكوتهم ؛ هل سكتوا عن جهل أو عن خجل أو خوف على مشاعري أو عن أسباب أخرى ؟!

تذكرت فجأة تلك الأحداث التي كنت لا أجد مبررا ؛ فأنا حزنت لرحيل الأصدقاء والأحباب ، تأسفت للحظات الفشل واليأس ، تنهدت من ساعات الملل والفراغ ، تحيرت من غدر الرفاق ، وتعجبت من أصل وشهامة بعض الأعداء ، كدت أجن من وفرة الأشياء التي أتمتع بها ، وقلقت من نضوب الأشياء التي أفتقدها . خفت من آلام الفقدان وفرحت بلهفة اللقاء . تنفست الصعداء بعد صدمات الرعب والفزع ،

تذكرت ما كنت أشعر به خلال هذه الأحداث ، راودتني ذكريات تلك المشاعر المصاحبة لما حدث وظهرت على وجهي علامات الخوف والابتسامة و الغضب والحزن والسعادة ،إنتاب وجهي تعبيرات مختلفة تلي بعضها البعض . وأخيراً تسالت : لماذا ؟ لماذا الغدر ولماذا الفزع ولماذا اليأس ولماذا الندرة والوفرة في حياتنا ؟ وظلت كلمة لماذا تتردد على عقلي ولا تجد أي إجابة مرت من أمام عيني ، أحداث كنت أعجز عن تفسير أسبابها ، كنت أريد أن أسمع تبريرا من أي أحد ليريح قلبي ولكن بلا جدوى .

وبعد رحلة بحث مضنية شعرت بارتياح ، وجدت مرادي الذي بحثت عنه كثيراً وسط أشلاء اليأس والحيرة .أيقنت بأنه ليس هناك ما يسمى إجابه نموذجية ، ليس هناك كامل نموذجي ، ليس هناك إجابه وافية شافية قاطعة لكل ما يحدث في الحياة ؛ ليس كل ما تريد أن تعرفه ، ستصل حتماً الي معرفته ، الحياة ليست بهذه السذاجة ولا بهذه البساطة .

الإجابات النموذجية ليس لها وجود في عالمنا ، الكل يجاوب حسب خبراته ، حسب حياته ، حسب معتقداته ، حسب ما يريد . صدمتي لن تكن في اكتشافي لعدم وجود الإجابة النموذجية فقط ولكن صدمت عندما لم أخذ الدرجات النهائية كما كنت معتادة !